مجلة الساورة للدراسات الإنسانية والاجتماعية
ISSN: 2477-9881 EISSN: 2676-2153
المجلد 08/ العـدد: 02 (2022)، ص 242- 258

الطقوس الدينية الزراعية في منطقة تيهرت (دراسة انثروبولوجية)

Agricultural religious rituals in the Tihert region

(Anthropological study)

ط.د حاكم نبيلة[1*]، د. العود محمد الصالح[2]

[1] جامعة طاهري محمد –بشار (الجزائر)، مخبر الدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا - جامعة ابن خلدون تيارت، nabila.hakem@univ-bechar.dz

[2] جامعة عبد الحميد مهري –قسنطينة 2(الجزائر)، laouddj@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: 2021/12/23 تاريخ النشر: 2022/12/25

ملخص:

ان الموقع الجغرافي لمنطقة تيهرت (تيارت حاليا) وما تتميز به من خصائص طبيعية جعلها محل توافد بشري منذ عصور موغلة في القدم، وهذا ما يقودنا الى أن انسان المنطقة عرف النشاط الزراعي واعتبر أن الإنتاج النباتي والحيواني يفوق قدرته وبالتالي خلق طقوس وممارسات هدف من ورائها الى تحقيق منفعة مادية ومعنوية.

والهدف من موضوعنا هذا هو تسليط الضوء عليها وإظهار ما كانت تحمله من قيم روحية عبر محطات تاريخية مع ابراز علاقتها بالجانب الزراعي والإنتاجي وحتى الحيواني.

وقد توصلنا في نهاية موضوعنا الى نتائج كان من أبرزها: نظر الانسان الى عملية الإنتاج النباتي والحيواني على أن هناك قوى تتحكم في ذلك تفوق قدرته ولذلك حاول التقرب منها باستخدام طقوس دينية لها علاقة بالجانب الاقتصادي ماديا ومعنويا والذي لا يزال يميز المنطقة الى وقتنا الحالي.

كلمات مفتاحية: الطقوس. الدينية، الزراعة، تيهرت، الانتاج. الحيواني، دراسة. انثروبولوجية.

Abstract :

The geographical location of the Tihert region (currently Tiaret) as well as its natural features made people flock to it since ancient times. This leads to the fact that the people of the region knew the agricultural activity and considered that plant and animal production exceeded his ability. Therefore, they created rituals and practices, which aimed at achieving material and moral benefit.

* المؤلف المرسل

The study aims at identifying their spiritual values in which they carried through historic milestones while highlighting their relationship to the agricultural, production and even animal aspect.

The study concluded the following results; the most importantly are the human view of the process of plant and animal production that there are forces that control it beyond his ability. Thus, he attempted to approach them by using religious rituals related to the economic aspect, materially and morally, which still characterizes the region to the present time.

Keywords: Religious rituals– Agriculture – Tihert – Animal production - Anthropological study.

1. مقدمة:

يعود تواجد الإنسان في منطقة تيهرت وضواحيها الى أزمنة موغلة في القدم، فقد مارس النشاط الزراعي وأعطاه ذلك الجانب الحسي الذي يدل على حدوث منفعة مادية (انتاج القوت).

ومثلما هو معروف فإن مثل هذا الحدث يفوق قدرته، فلجأ الى التقرب من تلك القوى عن طريق ممارسات وطقوس دينية التي تعتبر من أكثر عناصر الظاهرة الدينية بروزا، فشعور الانسان بالخوف أو الامتنان لمثل هذه القوى استلزم التعامل معها عن طريق تلك الطقوس ومنها تلك التي لها علاقة بالجانب الزراعي.

تعتبر منطقة تيهرت ذات عمق تاريخي يعود الى فجر التاريخ، فقد أكدت الحفريات على وجود الانسان الذي مارس الرعي والزراعة واستمر هذا الاستيطان خلال المراحل اللاحقة وقد مارس طقوسا زراعية ظلت من متجليات الحياة الزراعية والتي نستطيع القول انه كان لها دور في ابراز الجانب الفلاحي والطابع الزراعي للمنطقة، كما لا ننسى بدون شك الخصائص الطبيعية التي تتميز بها والتي كان لها دور أيضا في ذلك.

ولهذا حاولنا تسليط الضوء على هذه الممارسات والطقوس الزراعية مع اظهار ما كان يحمله من قيم روحية، والذي أصبح جزء من الذاكرة الجماعية مع ابراز علاقته بالجانب الإنتاجي الذي لا يزال يميز المنطقة الى وقتنا الحالي.

من أجل ذلك طرحنا إشكالية موضوعنا والمتمثلة في: هل لعبت الطقوس الدينية دورا في تحديد الطابع الزراعي للمنطقة وما انعكاساتها عليه؟

ارتأينا ان تكون لهذه الإشكالية تساؤلات جانبية منها: هل كان لهذه الطقوس الدينية الزراعية دورا في زيادة الإنتاج أو الاهتمام بالنشاط الزراعي والرعوي في المنطقة؟ هل كانت هذه السلوكيات تساهم حسب ظنه انها تعوضه عن ذلك النقص في جانبه الغذائي؟ ماهي اهم القيم الاجتماعية التي ساهمت هذه الطقوس في ترسيخها لمجتمع المنطقة ومدى محافظته عليها؟

للإجابة على ذلك وضعنا فرضيتين وسنحاول إثبات صحتهما من عدمهما في نهاية موضوعنا هذا وهما: أولا: مميزات المنطقة الطبيعية والبشرية يقودنا الى أن المنطقة لم تكن في منأى عن التأثيرات الخارجية ومعرفة الإنسان بالطقوس الدينية استلزم طقوس نفعية زراعية بمقومات ذاتية نابعة من خصائصها وبالتالي توفر العنصر المحلي.

ثانيا: شهدت منطقة تيهرت محطات تاريخية أثرت لا محالة على سكانها وعلى الرغم من ذلك لا تزال بعض المجتمعات الريفية تمارس بعض الطقوس لا لكونها دينية وانما أصبحت جزء من الهوية الثقافية تتجلى في عاداته وتقاليده وهذا ما ساهم في الحفاظ على الطابع الفلاحي الذي يظهر تفاعل انسان المنطقة مع المستجدات التاريخية والمساهمة في استمرار الإنتاج الزراعي الذي يعتبر من اساسيات المجتمع في المنطقة.

اتبعنا في موضوعنا هذا المنهج التاريخي من خلال جمع المعلومات التاريخية والجغرافية للمنطقة والتحليلي من أجل التعرف على هذه الطقوس الدينية وربطها بالنشاط الزراعي والرعوي، ومدى انعكاسها على المجتمع بما حملته من قيم روحية ميزت ولا تزال تميزه لحد اليوم.

تكمن أهمية هذه الدراسة في محاولة إظهار الدور التفاعلي الذي لعبته المنطقة وربطه بالجانب الديني من خلال ممارسات لها علاقة بالمعتقدات التي أصبحت جزء لا يمكن الاستغناء عنه بالنسبة لإنسان المنطقة وهذا ما يثبت أنه كان له معتقده الذي لم يختلف فيه عن بقية معتقدات بلاد المغرب وهذا راجع لموقع المنطقة، كما أنه ربط النشاط الحسي بالمادي وهذا ما ميز الإنسان في العصر القديم.

أخيرا قمنا بوضع خاتمة تحمل استنتاجاتنا حول الموضوع وأهم النتائج المتوصل إليها.

2. الخصائص الطبيعية والبشرية للمنطقة:

تقع تيهرت غرب دولة الجزائر ضمن النطاق الجغرافي المعروف بالهضاب العليا (انظر التعليق رقم:1) الغربية وهي سهول عالية تفصل بين الأطلس التلى والصحراوي (شنيتي، 1999، ص 32) وتتميز بمناخ قاري نظرا لطبيعة تضاريسها، فصيفها حار وجاف تتراوح درجة حرارته ما بين 25°م و38°م وقد تصل الى 43°م، وشتاء بارد ممطر نسبيا تتراوح درجة حرارته ما بين 04°م و13°م، الى جانب تعرض المنطقة الى جملة من العوامل الطبيعية كرياح السيروكو صيفا (أنظر التعليق رقم:2).

وبما أن المنطقة تقع فوق مرتفع وتحيط بها الجبال فهذا ما جعلها مصدرا رئيسا للمياه، وفي هذا الصدد يقول البكري: "... مدينة تيهرت مسورة لها ثلاثة أبواب باب الصبا وباب الأندلس وباب المطاحن وغيرها، وهي في سفح جبل يقال له قزول (وهو بتخفيف الزاي وهكذا يدعى اليوم) ... ولها قصبة مشرفة على السوق، تسمى المعصومة، وهي على نهر يأتيها من جهة القبلة يسمى مينة وهو في قبليها، ونهر اخر يجري من عيون تجمع تسمى تاتش ومن تاتش شرب أهلها وبساتينها وهو في شرقيها ... وهي شديدة البرد كثيرة الغيوم والثلج ...". (البكري، 1857، ص 67) أما الإدريسي فيقول: "... وبمدينة تاهرت مياه متدفقة وعيون جارية تدخل أكثر ديارهم يتصرفون بها...". (الادريسي، 2002، ص 256).

كما عرفت تيهرت باعتبارها جزء لا يتجزأ من منطقة المغرب القديم تعاقب عدة حضارات عليها بدأ من فترة ما قبل التاريخ بعصورها الثلاث والتي ينحصر امتدادها في المنطقة ما بين 8 الاف و3 الاف سنة قبل الميلاد وهذا ما دلت عليه المواقع الأثرية العديدة التي تضمنتها تيهرت وصولا الى عصر المعادن وما تلي فترة ما قبل التاريخية من حضارات كالفينيقية والنوميدية والرومانية التي ما زالت بعض المراكز الأثرية شاهدة عليها (بوجلابة، 2016، ص 76).

وبالعودة الى الفترة الإسلامية كانت من أهم المدن التاريخية التي تم تأسيسها أو إعادة تأسيسها منذ ظهور الإسلام في المغرب الأوسط (شماخي، 2016، ص 11)

وتطرزت تيهرت عبر الدهور بمظاهر الحضارة والتمدن من مرافق وفنادق وأسواق وبساتين وكثرة العيون التي دخلت كل البيوت ووفرة منتجاتها من الثمار والزروع والماشية والخيول (شماخي، 2016، ص 11).

ومنه نستطيع القول ان منطقة تيهرت تقع في نطاق ما يسمى بالهضاب العليا الغربية مما سمح لها بوجود خصائص طبيعية من مناخ قاري وموقع متوسط كان له الدور في استقطاب تجمع سكاني منذ فترة ما قبل التاريخ كما شهدت اغلب المراحل الكبرى التي عرفها بلاد المغرب من حضارة بونية ونوميدية ورومانية وحتى الفتح الإسلامي في الفترة الوسيطية بالإضافة الى العهد الاستعماري الفرنسي.

3. الطقوس الدينية والطابع الفلاحي للمنطقة:

ان كلمة طقس «Rite» مشتقة من الكلمة اللاتينية «Ritus» وهي عبارة تعني عادات وتقاليد مجتمع معين (حمداوي، 2020،ص 21)كما تشير لفظة "طقس" الى الكيفية التي يتم بها أداء الأنشطة المقدسة وتنظيمها في اطار احتفالي (حمداوي، 2020، ص22)أما الطقوس الدينية فهو التعبير الجمعي عن الخبرة الدينية الفردية وقد تم ترشيدها في قوالب فكرية وطقسية أدبية ثابتة، فالدين يقوم على ثلاثة عناصر أساسية وهي: الأسطورة والطقس، والمعتقد، والتي لا نستطيع التعرف على الظاهرة الدينية بدون

التعرف عليها مجتمعة ومتعاونة (السواح، 1994، ص 69) ومن خلال هذه التعريفات فالطقوس الدينة هي مجموعة من القواعد التي تنتظم بها ممارسات الجماعة، اما من خلال أداء شعائرها التي تعدها مقدسة او من خلال تنظيم أنشطتها الاجتماعية والرمزية وضبطها وفق "شعائر" منتظمة في الزمان والمكان (المحواشي، 2007، ص 18) ولها أهمية في التعبير عن الأحاسيس مثل: الخوف والحب ... وبالتالي التقرب من القوى المقدسة بهدف جلب منفعة أو دفع ضرر (لغرس، 2012، ص 17).

وقد كان للطبيعة الجانب الأوفر في تكوين المعتقد الديني لسكان بلاد المغرب القديم التي كانت بالنسبة لهم مليئة بالخوف والرعب فهي تحمل لهم قوة الحياة والموت، فإذا لم يتساقط المطر يفسد الحصاد وتموت الغلة وهذا يعني المجاعة وتفشي الامراض التي تؤدي في الغالب الى موت الماشية والانسان على حد السواء، لذلك أرادوا الوصول معها الى ائتلاف وتواد فتقربوا اليها بما يرونه مناسبا لذلك، وصار لهم نوعين من المقدسات يخافونها قدسوها تجنبا لضررها ومقدسات يحبونها قدسوها لتستمر في اسعادهم (السواح، ب ت، ص 27).

وقد كان للطبيعة المتميزة لمنطقة تيهرت بهضابها السهبية أثر على البيئة الاقتصادية والاجتماعية لسكانها (المشرقي، 1969، ص 33) حيث تعتبر منطقة الهضاب العليا، أنسب المناطق لزراعة الحبوب التي تشكل الغذاء الرئيسي للشعوب المغاربية (الميلي، 2005، ص 62) فانعدام المجاري المائية الدائمة مع عدم التساقط الذي يتميز بالتذبذب حتى أثناء الفصل المطير (أكتوبر – مارس) فالمطر يمكن أن يهطل منذ بداية الخريف ويمكن أن ينحبس الى اجال غير معلومة واذا تهاطل فهو غير منتظم (قعر المثرد، 2008، ص 35) وهنا يمكن القول أن انسان تلك المنطقة قد نظر الى الجفاف أنه عقاب من القوى المقدسة والمسؤولة عن المطر فأوجد لنفسه طقوسا هدف من ورائها الى استرضائها وجلب نفعها وبالتالي سقوط المطر الذي ينتفع به الزرع والضرع على حسب تعبير محمد الصغير غانم.

وبالإضافة الى النشاط الزراعي كان هناك النشاط الرعوي الذي كان سابقا له، كما أن الخصائص المناخية والنباتية جعلت المنطقة بيئة مناسبة لتربية الحيوان بامتياز، ومن بين المنتجات الحيوانية: الأصواف والجلود لصناعة الملابس الصوفية والجلدية والأحذية والسروج، بالإضافة الى الألبان والأجبان واللحوم ويمارس القطاع الرعوي في الأرياف، وهذا النشاط ظل لفترة طويلة المصدر الأساسي لمعاش السكان وبه رسخت البداوة بنظامها الاجتماعي والاقتصادي (عقون، 2008، ص 17).

5-أهم الطقوس الدينية والتي لها علاقة بالجانب الاقتصادي:

1.5 الطقوس الزراعية:

شهدت شمال إفريقيا تعاقب ديانات كثيرة عليها بدأ بالمحلية، البونية ثم أدخلت عليها الهة رومانية وشرقية أجنبية على السكان المحليين (كردين، 2020، ص 86). فالأهمية التي تكتسيها المياه بالنسبة لحياة الانسان والنبات والحيوان، جعلت منها موضوع عبادة الانسان المغاربي القديم لأنها أساس الخصوبة والضامن لبقاء الانسان ونمو الزرع والضرع (غانم، 2005، ص 17).

أشرنا في بداية موضوعنا هذا أن أمطار منطقة تيهرت وضواحيها غير منتظمة، مما يتملك المزارعين الخوف والقلق، وهذا ما يؤدي الى اللجوء الى معبوداتهم المختلفة متوسلين اليها لتمن عليهم بالمطر، ذلك أن المعتقدات الدينية تنظر الى أن الجفاف ما هو الا عقاب من الالهة لذلك وجب عليهم إظهار ضعفهم وخضوعهم أمام قوة تلك الالهة التي تسكن السماء والأماكن العليا مثل قمم الجبال (غانم، 2005، ص 12).

ونجد أن بعض الطقوس ذات الأصول المشتركة، قد تتغير حسب المكان الى دلالات مختلفة، فالطقوس المتعلقة بالحبوب الزراعية وعند البذر وعند الحصاد والدرس كانت الأمطار ضرورية لها ولهذا كان الإنسان المغاربي كثيرا ما يرتجي نزولها فقد ذكر هيرودوت Hérodote (484 ق.م-425 ق.م) الى أن قبائل النسامون Les N'assumons كانوا عندما لا

يجدون شيئا من السوائل يأخذون التربة من الأرض ويلعقونها :(هيرودوت، 2001، ص 361).

ومن الطقوس أيضا هناك حفلة بوغنجة (أنظر التعليق رقم:3)، او ما تعرف بحفلة انزار (أنظر التعليق رقم: 4) حيث كان الناس يخرجون في جماعات لأداء هذا الطقس في الهواء الطلق معبرين عن مدى احتياجهم للغيث وذلك بإظهار ضعفهم وخضوعهم اعتقادا منهم أن الجفاف كان عقابا لهم وغضبا من الالهة (غانم، 2001، ص 48).

وفي هذا الصدد يصف الإثنوغرافيون وأحد المعاصرين الأوروبيون أنه عند حدوث الجفاف تجتمع العجائز مرفقات بالأطفال، ويحملن ملاعق كبيرة مكسوة بالأقمشة والجلود، فتتحول بذلك الى دمية كبيرة وهن يرددن أهازيج يطلبن فيها استدرار المطر (غانم، 2005: 13). حيث تقول الأغنية حسب الأجداد:

" بوغنجة دار العقاش، يا رب قوي الرشراش والجلبانة عطشانة واسقيها يا مولانا، والفول نور واصفار واسقيه يا بو لنوار " :(بوزبدة، متعوك، بوزيد، ديبوب، وكوشت، 2005، ص 184) وفي أثناء السير يلتحقن بهن أخريات ثم تقدم لهن الأعطيات والهدايا من زيت ولحم، ويتم تحضير الطعام عند مزاره أو ضريح.

لكن غياب الوثائق المادية والكتابية تحول دون معرفة حقيقة هذه الطقوس وتاريخها ومدى أصالتها في بلاد المغرب القديم (عولمي، 2018، ص 201).

وقد استمر هذا الطقس الذي يبرز لنا مدى محافظة سكان بلاد المغرب القديم على رموز معتقدهم، هذه الاستمرارية التي تعبر عن مقاومة السكان المحليين لسياسة الرومنة بالتمسك الكبير بعقيدتهم القديمة رغم التغيرات التي فرضت عليها، الا أنها احتفظت بأصالتها وعبوديتها لفترات طويلة من الزمن وهو شكل من أشكال المقاومة الدينية والثقافية لدى سكان شمال افريقيا تحت ظل الرومنة (كردين، 2020، ص 94).

وقد كانت أراضي منطقة تيهرت فلاحية فقد كانت منذ القديم تنتج الحبوب بكثرة (المشرقي، 1969، ص 15) ويعتبر الوقت الأنسب لزراعة القمح هو بداية موسم الخريف

وقد اشرنا الى انه في هذا الموسم يتذبذب سقوط المطر ولهذا يقوم سكان المنطقة بهذه الطقوس طلبا لنزول المطر الذي تحتاجه الأرض حتى يكون المنتوج وفير ومنه نستطيع القول أن قيامهم بمثل هذه الطقوس كان في نظرهم يساهم في زيادة الإنتاج وهذا ما يبين لنا ان المطر كان من اهم انشغالات المنطقة، بالإضافة الى هذا تعتبر زراعة القمح من أهم المحاصيل الزراعية وذلك راجع لطبيعة المنطقة ولجهود الانسان أيضا، فتلك الطقوس ساهمت الى حد ما في المحافظة على هذا النوع من الإنتاج وبالأخص اذا علمنا أن جودة وكمية الإنتاج تتوقف على مدى وفرة الامطار في هذا الموسم.

كما يهدف هذا الطقس الى تهدئة الحالة النفسية للأفراد، فما ينتابه من خوف من عدم سقوط الامطار أو ما أصطلح عليها بعقاب الهة المطر، فإن أدائها وفق ما تفتضيه من ممارسات وأفعال وأقوال، سيحقق له ذلك الهدوء وسيدفع عنه لا محالة غضبها وهذا ما يظهر في طقس الاحتفال بالطواف بدمية "بوغنجة". كما أن هذه الطقوس وما تحمله من اجتماع النسوة وطوافهن واعدادهن لمأدبة الطعام تظهر لنا جانبا اجتماعيا تنشأ عنها وحدة متكاملة متضامنة وهذا ما تتميز به مجتمعات بلاد المغرب قديما وحديثا.

ومنه نستطيع القول إن منطقة تيهرت وضواحيها قد عرفت هذا الطقس بل ولقد ظل يمارس حتى الفترة الكولونيالية حيث أنه وبمجيء الإسلام أفرغ هذا الطقس من مفهومه الديني وأصبح من الطقوس التي يجد فيها السكان متنفسا ومبتهجا يعبرون فيه عن حاجتهم للمطر هذا من جهة ومن جهة ثانية يدل على تكاتفهم الاجتماعي وما يحمله من خصائص من خلال تحضير وجبة الطعام ومشاركة الجماعة في ذلك.

2.5 الطقوس الحيوانية:

كان النشاط الرعوي في الشمال الافريقي سابقا للنشاط الزراعي بكثير لأن استئناس الحيوان سبق استئناس المزروعات: (عقون، 2008، ص16) وتعتبر ظاهرة تقديس الحيوانات ميزة اتصفت بها المجتمعات القديمة حيث رسمت لها الجداريات وأقيمت لها

التماثيل (صندوق، 2016، ص 331). حيث كان السكان يرسمون وينقشون معبوداتهم الحيوانية من أجل ضمان وجودها الدائم (صندوق، 2016، ص 334).

وهذا ما يقودنا الى القول إن المغاربة مثلما نظروا الى ظاهرة انتاج الغذاء والنمو أن هناك قوى تقوم بذلك وسعوا الى التقرب منها، فإنهم وجدوا في الحيوان هاته الخاصية فسعوا الى خلق ممارسات وطقوس تقربهم من المعبودات الحيوانية والتي يأتي على رأسها الكبش وهذا ما تدل عليه الرسومات الصخرية: (غانم، 2005، ص 52) وقد كان الهدف من تلك العبادة في رأي البعض موجه لنمو وازدهار القطعان بما يمثله القرص الذي يعلو القرنين من خلال الرسوم الصخرية المرتبطة بها، وفي هذا الصدد خلصت الباحثة أم الخير العقون أن الصورة الموجودة على الصخور هي للكبش الحامل على رأسه قرص الشمس، وهما الشرطان الأساسيان لزرع الحبوب ونموهما وبلوغهما مرحلة الحصاد بفعل حرارة الشمس، وهي الصورة التي تمثل دورة الحياة، والتي هي احدى مظاهر الفكر الديني القديم القائم على عقيدة الخصوبة والإنتاج (العقون، 2003، ص 169) ويذكر اقزال بأنه يكاد يكون لكل قبيلة ليبية كبشها المقدس الخاص بها وأن النظر اليه لم يكن في متناول الجميع بل كان له كهنة يحيطونه بأساطير خيالية تضفي عليه هالة القداسة وتجعله مهابا من قبل الجميع (اقزال، 2007، ص 247) ويشير البكري الى أن منطقة بالمغرب الأقصى كانت لا تزال تمارس هذه الظاهرة وبالتالي فقد ظل الليبيون يعبدون الكبش الى ما بعد الفتح الإسلامي (البكري، 1857، ص 98) وقد عرف الكبش بآمون Ammon واسمه مشتق من امان التي تعني في جميع اللهجات الأمازيغية الماء، وفي هذا الصدد يشير غانم محمد الصغير أنه يعني المياه أي استنزال المطر الذي يحيي الزرع والضرع وبه تقوم الحياة (غانم، 2005، ص 53).

ومن المعروف أن عبادات المغرب القديم عرفت بالاستمرارية حتى وإن لم تكن صريحة ولم يبق منها إلا الشكل الخاص بطقس من طقوسها (مقدم، 2010، ص 3).

وقد أشرنا الى أن منطقة تيهرت منطقة رعوية وتعتبر الماشية من الحيوانات الرئيسية وهذا ما يقودنا الى أنها عرفت طقوس دينية مرتبطة بهذا الحيوان وعلى الرغم من قلة المصادر الكتابية التي تثبت صحة كلامنا إلا أن الموروث الثقافي والتعامل مع هذا الحيوان وانتشاره بكثرة في هذه المنطقة يبين أن هذا المعتقد كان سائدا، ومن بين تلك الطقوس قطع أذن الكبش وذلك ما أشار اليه هيرودوت في الفقرة 186 من الكتاب الرابع: "... كانوا يقدمون القرابين للشمس والمتمثلة في قطع أذن الأضحية والقائها فوق البيت ..." (هيرودوت، 2001، ص 651).

وبالفعل فقد انتشرت هذه العادة في بعض أرياف منطقة تيهرت، كما قدست قرونه باعتباره حيوان يقدم كقربان في الاحتفالات الكرنفالية، فيقوم المضحي بالاحتفاظ بهذه القرون أو تعليقها اعتقادا منه أنها تجلب النفع وتطرد الأرواح الشريرة.

وقد ربط بعض الباحثين بين صور الكباش المتوجة وفكرة الاستسقاء، خاصة وأن المنطقة كانت تشهد فترات جفاف، جعلت الانسان مهوسا بالبحث عن الماء، وكيفية استنزال المطر، وقد لعبت الكباش دورا أساسيا في تلك الطقوس، حيث يعتبر تبولها أو تبول الأشخاص المرافقين لها أهم مرحلة فيها (صندوق، 2016، ص 340).

وفي العصر الروماني امتزج الكبش مع الاله الروماني جوبتير والأمر نفسه أقدم عليه الفينيقيون بعد استقرارهم بمنطقة شمال افريقيا، حيث عمدوا الى دمجه. والظاهر أن عبادة الكبش بقيت حاضرة بالمنطقة حتى بعد ظهور المسيحية (صندوق، 2016، ص 339).

ومن خلال ذلك نستنتج أن منطقة تيهرت عرفت طقوسا خاصة بهذا الحيوان نظرا لبيئتها الرعوية حيث تعتبر تربية الأغنام على رأس الثروة الحيوانية، والتي نستطيع القول ان مثل هذه الطقوس ساهمت في زيادة عدده من خلال تقديسه، ومازالت كباش منطقة تيهرت من أجود أنواع الكباش في الجزائر من حيث جودة لحومها، ضف الى ذلك أنها قامت

بعبادته في العصور القديمة وهذا ما تدل عليه بعض الرسومات الصخرية التي وجدت بمناطق مختلفة محاذية لها، كما قدم كقربان للآلهة التي تطلب رضاها.

6.الخاتمة:

إن سعي الانسان الدائم الى حفظ بقائه وديمومة كيانه استلزم منه القيام بنشاطات، ويعد النشاط الزراعي من أبرزها الا أن العوارض الطبيعية كانت شغله الشاغل فسعى الى التقرب منها ظنا منه أنها قوى مقدسة فتقرب منها عن طريق ممارسات وطقوس دينية والتي كانت تحمل عدة مدلولات، كان من أبرزها تلبية احتياجاته المادية والمعنوية، وهذا ما سعينا لتوضيحه في بحثنا هذا مع ابراز انعكاساته على منطقة تيهرت باعتبارها محور دراستنا، وقد توصلنا الى نتائج من أبرزها:

تميز المنطقة بنطاق جغرافي وتاريخي جعلها موطنا لحضارات عصور ما قبل التاريخ كما عرفت محطات تاريخية وهذا ما يبين موقعها الاستراتيجي الذي توسط بلاد المغرب وأصالة إنسان المنطقة فيها لخصائصها الطبيعية الملائمة.

ممارسة النشاط الزراعي وتأثره بالعوامل الطبيعية مثل: تذبذب تساقط الأمطار، ادى الى خوف الإنسان من الجفاف والنظر الى قوى الخصوبة والإنتاج على أنها قوى مقدسة وهذا ما أدى الى عبادة الأجرام السماوية مثل الشمس وحتى الحيوانات مثل: الكبش، لذا استلزم خلق طقوس وممارسات دينية كان الهدف من ورائها جلب النفع من خلال تساقط الأمطار وسقي المحاصيل الزراعية وغيث الإنسان.

وللكبش في معتقدهم احتمالين قد يكون أحدهما تعبدي من خلال استحضاره في رسومهم الصخرية وما يرمز اليه من خصوبة، أما الثاني فهو تقديمه كقربان للآلهة التي تأتي الشمس على رأسها.

ومهما يكن فإن هذه الاحتمالات تقودنا الى فكرة وهي هدف دراستنا "أن إنسان منطقة تيهرت عرف المعتقدات الدينية ومارس لها طقوسا كانت نابعة من خصائص المنطقة ومميزاتها الطبيعية، إضافة الى ان الموقع الجغرافي ولعبه همزة وصل جعل المنطقة في تفاعل دائم مع كل ما يخص هذه العقائد. كما ساهمت في إعطاء ميزة للمنطقة والتي لها علاقة بالجانب الاقتصادي الا وهي تميز المنطقة بإنتاج زراعي يأتي القمح والشعير على رأسه كما أن تربية

الأغنام وما يحظى به الكبش لا من حيث صفاته ولا حتى مكانته على الرغم من التواجد الإسلامي والقضاء على المعتقد الوثني، كلها دلائل تثبت أن هذه المنطقة لم تكن بمنأى عن ذلك التفاعل الحضاري وأن انسان المنطقة مارس معتقدا حسيا جسده من خلال منفعته المادية.

إن الأجواء الاحتفالية وما ينتابها من أحاسيس من فرح وبهجة يبعث طاقة متجددة لمجابهة الخوف والشعور باليأس نتيجة الجفاف والذي يعكس غضب الطبيعة، وبالتالي فأن هذه الأجواء سوف تبعث في النفس الطمأنينة بعد أدائها لطقوسها على أكمل وجه، كما أن سقوط المطر سيعطي إحساس قبول العابد لهذا المتعبد وهذا ما سيساهم في المحافظة على هذا الطقس من جهة وإخلاص وبعث الشعور بالراحة من جهة ثانية.

وفي الأخير نستطيع القول إن اهتمام الباحثين بالمجال الاقتصادي والسياسي لمناطق بلاد المغرب المتفرقة يجحف الجانب الديني الذي يلاحظ اقبالا محتشما، فالدارس لهذا الجانب وبالأخص بالمعتقد الإسلامي لا يضر بشكل أو باخر من صحة اعتقادنا بل يثبت فعليا أن الإنسان قد قطع شوطا كبيرا في صقل المعتقد الديني الذي ربطه بجانب مادي وبالتالي تطوره وتفاعله مع أهم المحطات التاريخية.

التعليقات:

التعليق رقم:1 محصورة بين سلسلتي الأطلس التلى والصحراوي بمتوسط ارتفاع 1000م وتمتد من الجنوب الغربي الى الشمال الشرقي على مسافة 800كلم، وتنقسم الى غربية واسعة وشرقية ضيقة، تتميز بوجود بحيرات ضحلة مالحة تعرف بالشطوط. للمزيد انظر: (حارش، 1995، ص 14).

التعليق رقم: 2 رياح رملية تهب من الجنوب الى الشمال تكون مصحوبة عادة بزوابع رملية، تحجب الرؤية وتلون السماء بالأحمر. للمزيد انظر: (1981)." *الموسوعة الطبيعية*" (ص267-269). بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

التعليق رقم: 3 تعني الملعقة في اللهجة الأمازيغية.

التعليق رقم: 4 حفل انزار (سيد المطر) كان يريد الزواج من أجمل فتاة على وجه الأرض بحيث تلمع في كل مكان في نفس الوقت الذي يلمع فيه القمر في السماء، وكان من عادة هذه الفتاة الاغتسال والاستحمام في الواد الفضي ولما ينزل انزار عندها تهرب منه خائفة، وذات مرة

استطاع أن يمسكها ويقول لها: شققت عظمة السماء الى حد اللمعان .... فردت عليه الفتاة الجميلة بقولها: أتوسل اليك يا سيد المطر ..... على الجبين بمزين المرجان .... أعرف أننا خلقنا لبعضنا .... ولكن أشك في ماذا سيقول الناس. وعند سماعه لهذه الكلمات، غضب وحرك خاتمه فزال الواد نهائيا، فصرخت الفتاة وبكت ثم تجردت من ملابسها وبقيت عارية تمد يدها الى السماء مناديه: يا أنزار .... يا أزهار البراري ... اترك الواد يجري من جديد .... وتعال انتقم مني وخذ بثأرك. وفي هذه اللحظة فقط، نزل "أنزار" ملك المطر تحت مظهر النور القوي وضمها الى صدره. فعاد الواد الى مجراه الطبيعي واكتست الأرض خضرة وجمالا. للمزيد انظر: (بوزيدة، معتوك، بوزيد، ديبوب، وكوشت، 2005، ص 63-64).

قائمة المصادر والمراجع:

أ/ المصادر:

1. الادريسي، ابي عبد الله بن عبد الله. (2002). *نزهة المشتاق في اختراق الافاق* (المجلد الأول). القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية.
2. البكري، أبو عبد الله بن عبد العزيز. (1857). المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب جزء من كتاب المسالك والممالك. العراق: مكتبة المثني ببغداد.
3. هيرودوت. (2001). *تاريخ هيرودوت* ترجمة عبد الاله الملاح. أبو ظبي: المجمع الثقافي.

ب/ المراجع:

1. اقزال، استفان. (2007). *تاريخ شمال إفريقيا القديم* (الجزء الأول) ترجمة: محمد التازي سعود. الرباط.
2. حارش، محمد الهادي. ( ). *التاريخ المغاربي القديم السياسي والحضاري منذ فجر التاريخ الى الفتح الإسلامي*. الجزائر: المؤسسة الجزائرية للطباعة.
3. حمداوي، جميل. (2020)، *أنثروبولوجيا الطقوس والشعائر الدينية*، الطبعة الأولى، المغرب: دار الريف للطبع والنشر الالكتروني.
4. سحنوني، محمد. (1990). *ما قبل التاريخ*. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.
5. السواح، فراس. (بدون تاريخ). *موسوعة تاريخ الأديان* (الجزء الأول)، تر: غادة جاويش واخرون، دمشق: دار التكوين للتأليف والترجمة.
6. شنيتي، محمد البشير. (1999). *الجزائر في ظل الاحتلال الروماني بحث في منظومة التحكم العسكري (الليمس الموريطاني) ومقاومة المور* (الجزء الأول). الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.

7. بوجلابة قوزيه، سعاد. (2016، 10، سبتمبر). " *تاريخ مدينة تيهرت الأثرية* ". *مجلة الحكمة للدراسات التاريخية*، 4(العدد 08)، 72-87.

8. شماخي، موسى إسماعيل. (2016، 31، ديسمبر). "*الاثار الموجودة بمنطقة تيارت "الجزائر" دراسة انثروبولوجية مونوغرافية*"، مجلة افاق لعلم الاجتماع، (العدد 12)، 09-28.

9. صندوق، ستي. (2016). *الثروة الحيوانية والغطاء النباتي في الجزائر خلال العصور القديمة*. رسالة ماجستير، جامعة احمد بن بلة. وهران.

10. عدواني، محمد الطاهر. (1982). *الجزائر منذ نشأة الحضارة*. الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب.

11. العقون، أم الخير. (2003)." المصادر الدينية المشتركة بين مصر والمغرب القديمين ". *مجلة عصور*، (العدد 3)، 159-168.

12. عقون، محمد العربي. (2008). *الاقتصاد والمجتمع في الشمال الإفريقي القديم*. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.

13. عولمي، الربيع. (2018، جوان)." ملامح الفكر الوثني وطقوسه في بلاد المغرب القديم ". *مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية*، السنة التاسعة (العدد 13)، 186-207.

14. غانم، محمد الصغير. (2001)." بعض ملامح الفكر الديني الوثني في بلاد المغرب ". *مجلة الحوار الفكري*، (العدد 2)، 42-58.

15. *غانم*، محمد الصغير. (2005). *الملامح الباكرة للفكر الوثني في شمال إفريقيا*. الجزائر: دار الهدى.

16. قعر المثرد، السعيد. (2008). *الزراعة في بلاد المغرب القديم ملامح النشأة والتطور حتى تدمير قرطاجة سنة 146 ق.م*. رسالة ماجستير، جامعة منتوري. قسنطينة.

17. كردين، سهيلة. (2020، مارس)." استمرارية استعمال الديانة المحلية في شمال إفريقيا تحت ظل الرومنة ". *مجلة الحوار المتوسطي*، المجلد 11(العدد 1)، 86-99.

18. لبحيطي، أحمد. (1992)." لمحة عن سياسة الأسرة السيفيرية في شمال إفريقيا ". *مجلة المعالم*، (العدد 06)، 45-57.

19. لغرس، سهيلة. (14 أكتوبر 2012). *الأبعاد الاجتماعية والنفسية للطقوس – الطقوس الدينية نموذجا -*، الجزائر، مجلة فكر ومجتمع.

20. المحواشي، منصف. (2007). "*الطقوس وجبروت الرموز قراءة في الوظائف والدلالات ضمن مجتمع متحول*"، مجلة انسانيات، (العدد 37)، 15-43.

21. مشرقي، محمد محي الدين. (1969). *إفريقيا الشمالية في العصر القديم* (ط. 4). لبنان: دار الكتب العربية.

22. مقدم، بنت النبي. (جوان 2010). *المعتقدات الدينية بالجزائر القديمة*. مرصد الشأن الديني في الجزائر، مخبر البحوث الاجتماعية والتاريخية، جامعة معسكر.

23. ميلي، مبارك. (2007). *تاريخ الجزائر في القديم والحديث* (الجزء الثاني). الجزائر: دار الكتاب العربي.

24. ناظوري، رشيد. (1966). *المغرب الكبير* (الجزء الأول). القاهرة: الدار القومية للطباعة والنشر.

الملاحق:

خريطة موقع منطقة تيهرت

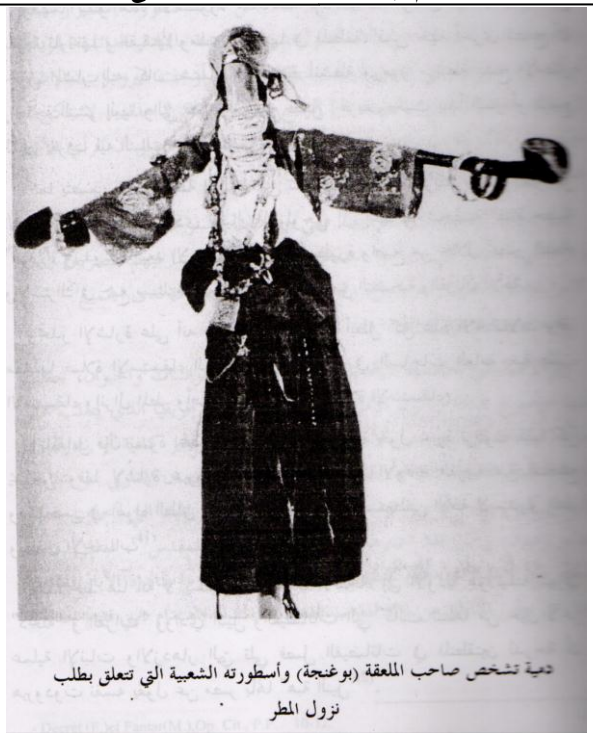

دمية تشخص صاحب الملعقة (بوغنجة) وأسطورته الشعبية التي تتعلق بطلب نزول المطر

المصدر (غانم، 2005، ص 15).

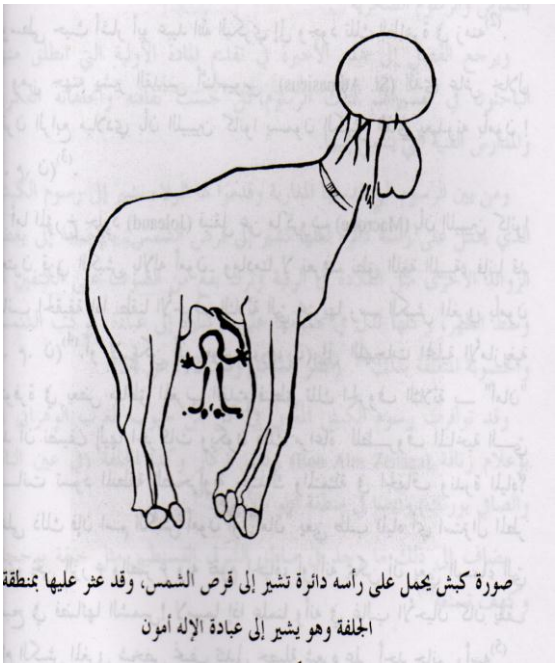

صورة كبش يحمل على رأسه دائرة تشير إلى قرص الشمس، وقد عثر عليها بمنطقة الجلفة وهو يشير إلى عبادة الإله أمون

المصدر: (غانم، 2005، ص 54).